Remove Watermark Now

اثر الإسلام في تطوير بعض المفاهيم الأساسية في تخطيط المدن

ممتاز حازم داؤد الديوجي — **بسام إحسان عبد القادر الحافظ**
أستاذ مساعد — **مهندس معماري**
قسم الهندسة المعمارية/كلية الهندسة/جامعة الموصل

المستخلص:

كان لظهور الإسلام كحالة تغيير شاملة في شتى النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية على خارطة العالم أثرا واضحاً في تطوير الكثير من المفاهيم ومن هذه المفاهيم ما ارتبط بالعمران والتحضر وتخطيط المدن . الحضارة الإسلامية في حد ذاتها حضرية الطابع . لقد تطورت المفاهيم الحضرية في الإسلام عبر مستويين متكاملين . المستوى الأول ارتبط بالجانب الفكري النظري ، واقترن الجانب الثاني بالتطبيق العملي وتشييد التكوينات العمرانية .

استنادا إلى الافتراض القائل بان بعض المفاهيم الحديثة في تخطيط المدن يمكن تلمسها وبشكل واضح في الانجازات الإسلامية في مجال التحضر فان البحث المقدم سوف يتناول هذه المفاهيم محاولا تتبع أثارها في مجال التحضر الإسلامي بطروحاته النظرية وتطبيقاته العمرانية بهدف تأشير الدور الفاعل للحضارة الإسلامية في هذا المضمار .

الكلمات الدالة : التحضر الإسلامي ، المدينة الإسلامية .

The Role of Islam in Developing Some Basic Concepts in Town Planning

Momtaz H.D.Aldewachi — **Bassam I.A.Alhafith**
Assistant Professor — **Architect**
Dept. Architecture/ Engg. College /Mosul University

Abstract:

The arise of Islam as a multidimensional changing phenomenon with its own revolutionary and comprehensive character was inherent with a lot of alterations in social aspects , and this is explicit particularly in the scope of urban life and town planning .

Essentially, Islamic style of life has its own urban identity. The urbanization process in Islam has been developed across two integrated

sides, the first one concerned on ideational and theoretical aspects , while the other associated with practice .Many urban centers emerged during the Islamic era since the erection of Basrah , the first Islamic town in the middle of the 7th. centaury.

Some contemporary urban concepts , both environmental and social could be noticed in Islamic achievements within this field such as zoning, road hierarchy , and the neighbourhood unit which this research tries to shed light on briefly .

Keywords: Islamic urbanization , Islamic city.

1- مقدمة :

1 . 1 توطئة :

يعد فن العمارة وتخطيط المستوطنات واحداً من أقدم النشاطات البشرية منذ أن غادر الإنسان حياة الكهوف وشرع بتشييد مستقره الجديد . لقد تفاعل هذا الفن وبشكل مباشر مع أسلوب الحياة فكان خير مثال يعكس المفاهيم والرموز لأي مكان وزمان ويعبر بشكل واضح عن سعي الإنسان الدؤوب لتطوير بيئته والتكيف معها . وبالتالي فان هذا الفن _ العمارة وتخطيط المدن _ أصبح واحداً من المفردات الأساسية في اللغة الحضارية للأمة ومعبراً عن خلاصة تجاربها وخبرتها في العديد من المجالات .

لقد تحققت في العراق و لأول مرة ابسط مبادئ العمل المعماري وكان ذلك قبل اكثر من عشرة آلاف عام عندما اختط العراقيون القدماء منازلهم الأولى (أبو الصوف: 2) ثم تطور هذا الفن على مر القرون لتظهر اكبر حواضر العالم القديم في هذه البلاد ممثلة في بابل ونينوى وغيرهما .

ثم كان لظهور الإسلام كحالة تغيير شاملة في شتى النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية على خارطة العالم أثراً واضحاً في تطوير الكثير من المفاهيم المرتبطة بالعمران والتحضر وتخطيط المدن . فالحضارة الإسلامية هي حضرية في حد ذاتها . ولقد تطورت المفاهيم الحضرية في الإسلام عبر مستويين أساسيين يتمم أحدهما الآخر، الأول ارتبط بالجانب الفكري النظري الذي يمكن تتبعه بشكل واضح في الكثير من مصادر الفكر الإسلامي وحيث أشار المفكرون المسلمون إلى العديد من المبادي الأساسية المرتبطة بموضوع تخطيط المدن منها ما ارتبط باختيار المواقع ومنها ما أكد على أساليب التخطيط وتبرز هنا كتابات ابن الربيع وابن خلدون وغيرها (عثمان:29) .

أما المستوى الثاني في تطور مفاهيم تخطيط المدن فقد ارتبط بالجانب العملي وإنشاء التكوينات المعمارية والتي سادت في توافق تام مع أحكام البناء التي اقرها فقهاء المسلمين استناداً إلى الكتاب والسنة وقد تجلى اهتمام الحكام المسلمين بهذا الجانب بمشاركتهم الفعلية في عمليات اختيار المواضع للمدن ومتابعة أعمال إنشائها وأوضح مثال على ذلك مشاركة الخليفة المنصور في إنشاء بغداد المدورة (الموسوي:130) .

1 . 2 مشكلة البحث :

الافتقار الى ما يوضح وبشكل مباشر الدور الفعال للحضارة الإسلامية في مضمار التحضر وتخطيط المدن من مفاهيم نظرية وطروحات فكرية وكذلك في مجال التطبيقات العملية .

1 . 3 هدف البحث :

تأشير الدور الفعال للحضارة الإسلامية في مضمار التحضر وتخطيط المدن مع التأكيد على إبراز دور العراق الرائد في رفد هذه الحضارة بالكثير من الإنجازات ضمن هذا المجال .

1. 2 فرضية البحث :

إن الكثير من المفاهيم الحديثة في تخطيط المدن يمكن تلمسه وتتبع آثاره وبشكل واضح في الإنجازات الإسلامية في مجال العمران والتحضر والتي يعدها كثير من المختصين حديثة وينسبونها إلى الفكر الغربي في حين يمكن تتبع آثار وجوانب هذه المفاهيم وبشكل كلي أو جزئي في ما يمكن تسميته بمجال التحضر الإسلامي بجانبيه النظري _ بما يتضمنه من طروحات وكتابات _ والتطبيقي بإنجازاته المبهرة التي لازال الكثير منها شاخصاً إلى الآن .

2- تخطيط المدن في العصر الإسلامي :

بعد انتهاء حروب الردة وهيمنة المسلمين على شبه الجزيرة العربية واستقرار الأوضاع فيها شرع المسلمون بالتحرك نحو الأراضي العربية المغتصبة آنذاك في العراق وبلاد الشام وغيرها لتحريرها من الحكم الأجنبي ونشر الدين الإسلامي فيها ودعت الحاجة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب إلى إنشاء معسكرات يجتمع فيها المجاهدون المسلمون وهي ما عرفت بالأمصار ومنها البصرة التي يرجح بناؤها سنة 14 هجرية (العميد : 127) من قبل عتبة بن غزوان المازني ومدينة الكوفة التي شيدها سعد بن أبي وقاص سنة 17 هجرية وبذلك يكون العراق موطناً لأول المدن التي تم تشييدها في العصر الإسلامي .

Remove Watermark Now

هنالك العديد من المبادي تمت مراعاتها في تخطيط الأمصار الإسلامية الأولى منها البساطة في البناء واستعمال ما متوفر من مواد والتأكيد على المواقع التي يسهل معها الاتصال بمركز الخلافة حسب توجيهات الخليفة عمر بن الخطاب مع مراعاة العوامل البيئية لهذا الموقع من تربة ومناخ إضافة إلى المناعة العسكرية وضرورة توفر الماء ووسائل العيش وسبل المواصلات (يوسف :143) . في فترة الخلافة الأموية بدأت العوامل السياسية والذاتية تلعب دوراً في ظهور المدن ومنها مدينة واسط التي أحدثها الحجاج بن يوسف سنة 83 هجرية وهي ثالث مدينة رئيسية بناها العرب المسلمون في العراق بعد تحريره . كما كان لولاة الأمويين في مدن العراق الأخرى وخصوصاً الموصل دوراً كبيراً في إعادة تنظيم وتخطيط الاستعمالات المختلفة لهذه المدينة وبشكل واضح في عهد الوالي الحر بن يوسف (ناجي :336) .

أما فترة الخلافة العباسية فتعد من ابرز فترات ازدهار فن تخطيط المدن الإسلامية في العراق الذي أصبح خلال هذه الفترة مركزاً للخلافة الإسلامية التي امتدت آنذاك من حدود الصين إلى بلاد الأندلس فعندما تولى أبو جعفر المنصور الخلافة قام بنفسه باختيار موقع بغداد في الجهة الغربية من نهر دجلة ليشيد فيه عاصمة الخلافة التي شرع بها سنة 145 هجرية وجعلها مدورة مع سوريين خارجيين وسور ثالث داخلي ولها أربعة أبواب وقسم المدينة إلى شوارع محددة سماها السكك . ويعتبر التخطيط الدائري لمدينة بغداد حدثاً تاريخياً مهماً وإنجازاً هندسياً ذو مقياس واسع (يوسف: 139) وكما عبر عن ذلك أحد الباحثين بقوله " **إن مدينة المنصور المدورة يمكن أن تعد بحق أحد الأمثلة الشهيرة لتخطيط المدن التي وصلت إلينا** " . (العميد:309)

قام الخليفة المعتصم بن الرشيد ببناء مدينة سامراء سنة 220 هجرية في الجانب الشرقي من دجلة إلى الشمال من بغداد بتأثير العديد من العوامل السياسية والاجتماعية واتخذها عاصمة للخلافة واتبع فيها نظاماً رائعاً في الفصل المكاني أو ما اصطلح عليه حديثاً بالتنطيق (**Zoning**) وقد اتسعت سامراء في بضع سنوات لتمتد مسافة 35 كيلومتراً على ضفتي دجلة (يوسف:141) .

يبين هذا العرض التاريخي الموجز إن هنالك تطوراً مستمراً في مفاهيم تخطيط المدن في الإسلام بتأثير متغيرات كل فترة ومتطلباتها كما يتضح أن للعوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومستلزمات الأمن دوراً فاعلاً ومؤثراً على عملية تخطيط وبناء المدن كذلك فان العراق كان مسرحاً فاعلاً لمعظم عمليات بناء المدن الجديدة بدأً من البصرة والى سامراء وعلى مدى زماني يزيد عن القرنين .

Remove Watermark Now

3- أدبيات التحضر في الإسلام :

حفلت كتب التراث الإسلامي بالكثير مما يتعلق بمجال العمران والتحضر وتنوعت المصادر التي تتناول الفكر العمراني والتخطيطي الإسلامي ما بين الفقه وكتب الحسبة والمؤلفات التاريخية والجغرافية وعلم الاجتماع السياسي ومن ابرز المؤلفات في هذا المجال كتاب العلامة شهاب الدين بن أبي الربيع المعروف بـ " **سلوك المالك في تدبير الممالك على التمام والكمال** " الذي كتبه للخليفة المعتصم وكذلك مقدمة العلامة ابن خلدون.

لقد أكد ابن الربيع في كتابه على مسائل أساسية في عملية تخطيط المدن مبتدأ بمسألة اختيار الموقع والشروط اللازم توفرها فيه ثم حدد شروط التخطيط للموضع المنتخب مؤكداً على مفاهيم تخطيطية جوهرية مثل مسالة مقاييس الطرق وتدرجها وضرورة وجود المسجد الجامع في الوسط والذي يعد بمثابة فضاء تجمع عام بمفاهيم التخطيط الحديثة وكذلك ضرورة تشييد الأسواق لتوفير أساس اقتصادي للمدينة كما أكد ابن الربيع على فكرة التجانس الاجتماعي للسكان وذلك بتمييز قبائل الساكنين وان لا يتم الجمع بين الأضداد المتباينة وهذا ما تتناوله الأدبيات الحديثة في علم الاجتماع الحضري وفي الختام يؤكد ابن الربيع على مسالة وحدة الكيان العضوي للمستوطنة الحضرية بقوله إن المدينة بجملتها دار واحدة.

pdfelement

4- بعض المفاهيم التخطيطية وتأثير الإسلام عليها :

4-1-تحديد معنى المدينة :

4-1-1- مقدمة عامة :

لقد اختلف الباحثون كما اختلفت الأقطار في تعريف المدينة ويمكن الإشارة هنا إلى بعض الأسس والمقاييس التي تستعمل لمعرفة المقصود بالمدينة . في كثير من الحالات يتخذ عدد السكان كمقياس لتعريف المدن والمراكز الحضرية وتمييزها عن القرى غير أن هناك اختلافاً بين الأقطار عند تعيين الحد الأدنى من السكان لجعله أساساً لتعريف المدينة عن غيرها من أنماط الاستيطان الأخرى . في بعض الأقطار تضاف إلى معيار الحد الأدنى من السكان مقاييس أخرى لكي يعتبر المكان مدينة كالتجهيز بمياه الشرب أو بعض الخدمات الأخرى .

في أقطار أخرى يتم إهمال مقياس عدد السكان لاعتبار المستوطنة الحضرية مدينة وتتخذ مقاييس أخرى كالصفة الإدارية مثلاً والتي يمكن أن تتمثل بوجود مجلس إداري وقضائي في المدينة ولها حدود إدارية ويحكمها موظف إداري بمرتبة معينة .

إن الكثير من المختصين بتخطيط المدن يعتبرون تجمعات السكان مدناً عندما تقوم تلك التجمعات بإنجاز نشاطات معينة وتقديم خدمات تجعلها تختلف عن تلك التي تقدمها الأرياف إضافة إلى خصائص المظهر والبيئة الداخلية . مما سبق يمكن الاستنتاج بأنه لا يوجد لحد الآن تعريفاً عاماً متفقاً عليه للمدينة كما انه لا توجد أسس عامة مقبولة بين جميع الأقطار لتمييز المدينة عن القرية .

4-1-2- المدينة في نظر الإسلام :

تبين الكثير من الدلائل اللغوية أن العرب قد ارجعوا أصل كلمة مدينة لغوياً إلى جذر **دين** المراد به الملك والتملك وهذا يؤكد على الفهم العربي للعلاقة الجدلية بين المدينة والقانون (ناجي :48)

بعد ظهور الإسلام تحددت معاني أكثر وضوحاً للمدينة . فقد وردت في القران الكريم آيات غير قليلة تتعلق بهذا الموضوع . ورد ذكر القرية بثلاثة وخمسين آية خمسة و أربعون آية منها مكية وثماني مدنيات (الموسوي:352)

أما المدينة فقد جاء ذكرها في القران الكريم بسبع عشرة آية فقط ثلاث عشرة آية منها مكية والباقي مدنية . (الموسوي:353) ويمكن تلمس بعض المعايير الخاصة بمعنى المدينة من هذه الآيات كالتالي :

1 - المدينة تشير إلى المكان الذي يجتمع فيه الناس لقوله تعالى :

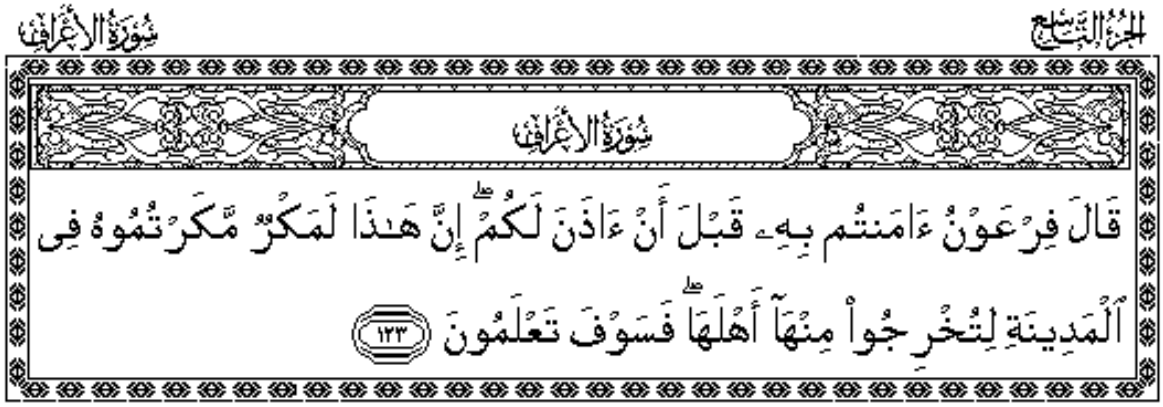

2 - المدينة تشير إلى المركز الاقتصادي الثابت وحيث يكون التبادل النقدي هو الأساس في التعامل التجاري لقوله تعالى :

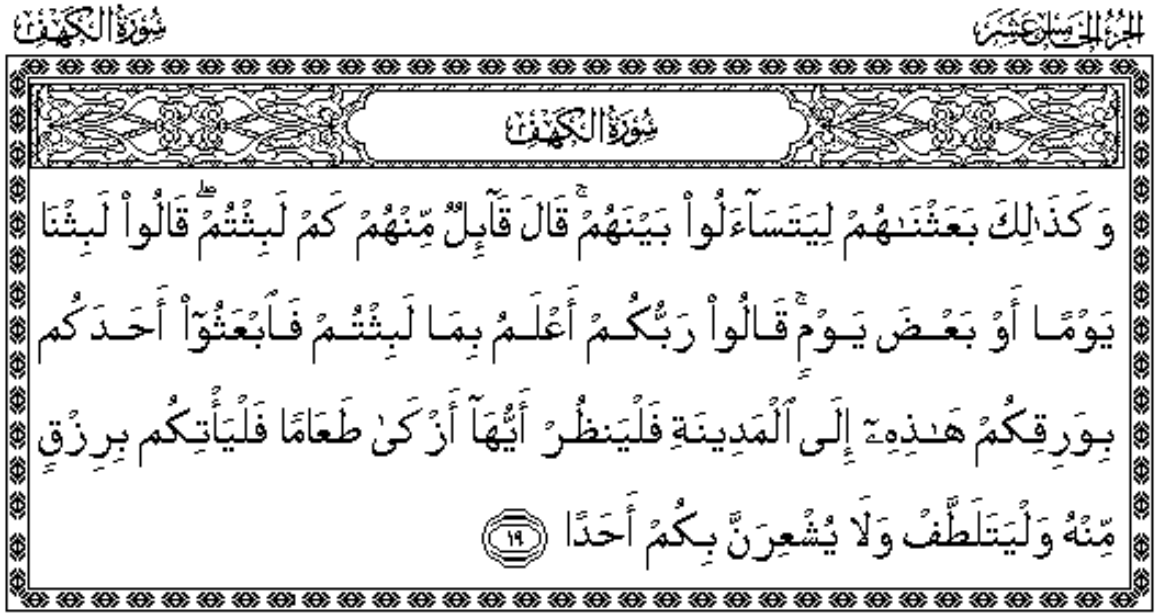

3 – المدينة تشير إلى مقر الملك أو الحاكم لقوله تعالى :

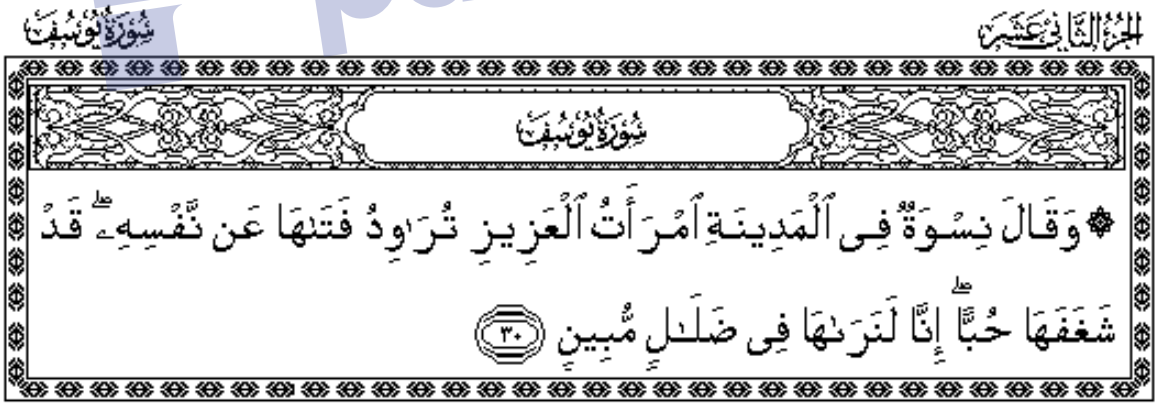

والعزيز يقصد به الحاكم أو الملك والمدينة هنا هي مقره .

وبشكل عام يمكن القول أن القران الكريم قد استعمل كلمة مدينة للإشارة إلى المراكز الحضرية الرئيسة والتي كان معظمها يقع خارج الجزيرة العربية بينما أشار إلى المراكز الحضرية الصغيرة في الجزيرة العربية بلفظة قرية .

ويرد تحديد مماثل لمفهوم المدينة في الحديث الشريف . حيث يشير المفهوم إلى المدن الكبيرة المستقرة خارج الجزيرة العربية (ناجي: 54) كما وردت إشارات أخرى لهذا المفهوم كالأمصار والميناء والحصن .

ومن وجهة النظر الفقهية فان هناك إجماعاً بين فقهاء المسلمين حول شروط إقامة صلاة الجمعة التي لا يجوز أن تقام إلا في الأمصار أو المدن لقول الرسول (ص) " **لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا أضحى إلا في مصر جامع أو مدينة عظيمة** " فشرط اجتماع المنازل والناس أساسي لإقامة صلاة الجمعة مع ضرورة أن يقطن في هذه المنازل من تنعقد بهم صلاة الجمعة وان لا يرحلوا عن هذا المكان صيفا أو شتاء . ويضيف الإمام أبو حنيفة في تحديده للأمصار بأنها المكان الذي يتوفر فيه

1 - سلطان يقيم الحدود .
2 - قاضي ينفذ الأحكام .

وباختصار فان خصائص تحديد مفهوم المدينة من وجهة نظر الإسلام يمكن إجمالها بالتالي :

1 - القدرة البشرية والكثافة السكانية .
2 - وجود السلطة التي تقيم الحدود .
3 - التطور العمراني .

وهذه تنسجم تماماً مع ما ورد من مفاهيم معاصرة لتحديد معنى المدينة وتميزها عن القرية . (ناجي:59)

4-2-مفهوم فصل وعزل الاستعمالات غير الملائمة للأرض الحضرية :

4-2-1-مقدمة عامة :

تعرف الاستعمالات غير الملائمة للأرض الحضرية بأنها تلك الاستعمالات التي تتسبب بطبيعتها في إحداث نسب عالية من عوارض التلوث البيئي من ضوضاء وروائح ودخان وفضلات وغيرها . ولما كان تخطيط المدن بمفهومه الشامل مهتماً بتنظيم استعمالات الأرض وتحديد مواقع الفعاليات المختلفة لتحقيق اكبر المردودات الاقتصادية والراحة والجمال لذا فان توفير البيئة الحضرية الصحية اللائقة يعد هدفاً أساسياً لمثل هذا العمل والذي لا يمكن أن يتم إلا بالسيطرة على الاستعمالات غير الملائمة ومن ثم إزالتها ومنع حصولها مستقبلاً .

إن الطروحات الحديثة في تخطيط المدن تتعامل مع هذه الحالة من منطلق أن وجود استعمال غير ملائم في منطقة ما سوف يسبب ضرراً يجب إزالته أو معالجته . وتؤكد هذه الطروحات على ضرورة مراعاة المبادي الأساسية التي تشمل الصحة ، السلامة ، الراحة والاقتصاد عند إعداد مخطط التطوير لأي موقع (chapin :41) .

لقد طرحت أفكار ومقترحات عديدة تناولت هذا الموضوع منها :

Remove Watermark Now

1- فكرة وحدة الجيرة السكنية The Neighborhood Unit

هذه الفكرة تمنع حركة المركبات الاختراقية للمناطق السكنية ولا تسمح ألا بتواجد الاستعمالات الخدمية البسيطة المخصصة لخدمة السكان دون أن تسبب أي ضرر بالبيئة . أما الاستعمالات غير الملائمة فيقترح إزالتها أو إخراجها إلى خارج حيز المحلة السكنية ومنع تواجدها مستقبلاً . (Gallin:252)

2- فكرة المناطق البيئية The Environmental Areas

تم طرح هذه الفكرة ضمن تقرير Traffic In Towns عام 1963 . وحسب هذا التقرير فان المناطق البيئية يمكن أن تستحدث لأي استعمال من استعمالات الأرض الحضرية وحيث أن المعايير يمكن وضعها لتحديد المناطق الحضرية ذات الاستعمالات المختلفة لتحقيق بيئة صحية وسليمة . (Buchanan : 221) .

3- أسلوب التنطيق The Zoning

وهي طريقة أو وسيلة لتحقيق التجانس في أماكن الاستعمالات المختلفة للأرض الحضرية وتهيئة المساحة المناسبة لكل استعمال ويسمح أسلوب التنطيق بالسيطرة على كثافة البناء في كل منطقة وبحيث تتوفر لكل منشأ الخدمات الكافية . ويتم أسلوب التنطيق بتقسيم المناطق الحضرية إلى قطاعات ومن ثم استعمال الصيغ القانونية لتنظيم مساحات البناء وكثافات السكن ونوع الاستعمال المسموح به ضمن هذه المناطق (Chapin : 356)

4-2-2-تنظيم استعمالات الأرض في المدينة الإسلامية :

كانت الأحكام الفقهية بمثابة القانون العام الذي ينظم العمران في المدينة الإسلامية . هذه الأحكام تنطلق من مباد ئ إسلامية أساسية واستناداً إلى الحديث الشريف " **لا ضرر ولا ضرار** " فان مواضع الاستعمالات المختلفة قد تحددت ضمن المدينة الإسلامية وفق شروط معينة هدفها التوافق بين حق التصرف في الملكية مع عدم التسبب في أذى الآخرين (عثمان:124) .

إن المثال الأكثر وضوحاً على عملية تنظيم استعمالات الأرض في المدينة الإسلامية و إبعاد الاستعمالات الغير ملائمة يظهر في عملية تصنيف الأسواق . لقد راعى هذا التصنيف مبدأ عدم إحداث الضرر لأي صنف تجاري أو حرفي من قبل مجاوريه من الأصناف الأخرى . وقد حددت مسببات الضرر بثلاثة أنواع هي الدخان والرائحة الكريهة والأصوات المزعجة وبالتالي فان أية استعمالات تسبب إحداث هذا الضرر كانت تنقل إلى خارج المدينة مع مراعاة اتجاه الرياح السائدة لتأكيد منع وصول الأذى والضرر .

Remove Watermark Now

ويحفل تاريخ المدن الإسلامية وخصوصاً العراقية بأروع الأمثلة على مسالة إبعاد الاستعمالات غير الملائمة للأرض الحضرية فقد أمر الخليفة المنصور سنة 157 هجرية (773م) بإخراج الأسواق والصناعات التي تسبب الروائح والدخان إلى خارج أسوار بغداد المدورة (الكبيسي:79) وهذه تعد من التجارب الأولى الرائدة في هذا المجال وعلى مستوى تاريخ تخطيط المدن بشكل عام .

كذلك فان سوق الأربعاء وهي من الأسواق التي كانت موجهة لتصريف منتجات الفلاحين وخدمتهم في مدينة الوصل وكانت تقام في يوم الأربعاء من كل أسبوع فقد خصص لها مكان خارج سور المدينة لدفع الضرر الناجم عنها (الديوجي:125) كما يلاحظ أن جميع الحرف المسببة للضرر أو الاستعمالات غير الملائمة كانت تبتعد إلى خارج أسوار مدينة الموصل مثل الصباغين والدباغين الذين يشكل عملهم مصدراً للتلوث والروائح غير المستطابة .

4-3-مفهوم وحدة الجيرة (المحلة) السكنية The Neighbourhood Unit:

4-3-1-مقدمة عامة :

شاع استخدام تعبير وحدة الجيرة في الدراسات التخطيطية بشكل واسع وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية وحيث برزت العديد من الطروحات النظرية في هذا المضمار إضافة إلى بعض الممارسات التطبيقية المحدودة في بعض المدن الجديدة في بريطانيا والهند .

يمكن القول أن وحدة الجيرة السكنية الحديثة (المحلة الحديثة) تمثل وببساطة البيئة العمرانية التي تجعل ألأم مطمئنة فيها إلى أن طفلها سوف لن يضطر إلى عبور شارع ذو حركة مرور خطرة في طريقه إلى المدرسة وحيث تكون هذه المدرسة ضمن نطاق المسافة التي يستطيع الطفل أن يمشيها بسهولة ويسر من البيت . وأنها البيئة التي تستطيع فيها ربة البيت الوصول مشياً وبسهولة إلى اقرب مركز للتسوق لتحصل على الحاجات المنزلية اليومية . وأنها البيئة التي تحتوي على ملعب للأطفال قريب من البيت وحيث يتمكن الأطفال من اللعب بأمان مع أقرانهم .

الطروحات والأفكار التي تناولت مفهوم وحدة الجيرة هذا عديدة ومتنوعة وأضاف بعضها إلى الآخر ومن أهم هذه الأفكار (Gallin : 252)

1 - فكرة كلارنس بيري :

عرف بيري وحدة الجيرة السكنية بأنها مساحة من الأرض المسكونة التي تتطلب وجود مدرسة ابتدائية بعدد من التلاميذ يتراوح ما بين 1000-1200 تلميذ والذي قد يعني عدداً من السكان يتراوح ما بين 5000-6000 نسمة .وحدة الجيرة هذه تعطي مساحة تقرب من 64

هكتاراً وشكلها لا يسمح بان يمشي الطفل مسافة اكثر من 800 متر للوصول إلى المدرسة الابتدائية .إن 10% من مساحة وحدة الجيرة مخصص للترفيه والوحدة مجهزة بخدمات تسويقية ، مركز ديني ، مكتبة ، مركز اجتماعي يفضل أن يكون قريباً من المدرسة الابتدائية .

إن المبادئ التي اعتمدها بيري يمكن تلخيصها بالنقاط التالية :

1 – الشوارع الرئيسية يجب أن لا تمر خلال وحدة الجيرة السكنية بل أنها تكون بمثابة الحدود لهذه الوحدة .

2 – الشوارع الداخلية في وحدة الجيرة السكنية يجب أن تكون من النمط المغلق (الأعمى) Cul-de-sac وتكون منحنية بشكل يجعل الحركة عليها هادئة وبطيئة للمحافظة على البيئة السكنية .

3 – إن عدد سكان وحدة الجيرة السكنية يجب أن يكون مساوياً للعدد اللازم لإقامة مدرسة ابتدائية .

4 – إن مركز وحدة الجيرة السكنية تمثله المدرسة الابتدائية التي تكون واقعة ضمن ارض خضراء عامة مع الخدمات الضرورية لوحدة الجيرة .

5 – وحدة الجيرة السكنية تشغل مساحة تقارب (64) هكتاراً وبكثافة سكانية تقترب من 25 عائلة/هكتار .

6 – وحدة الجيرة السكنية مزودة بالفعاليات التسويقية ، الدينية والثقافية .

2 – فكرة كلارنس شتاين :

استند شتاين على نفس المبادي التي اعتمدها بيري مع زيادة الاهتمام بالمتنزهات والمساحات الخضراء الموزعة بشكل متجانس ومنتظم ضمن جميع أجزاء وحدة الجيرة السكنية . كما أضاف شتاين إلى ذلك بان قام بتجميع ثلاث وحدات جيرة سكنية لتخدمها مدرسة ثانوية ومركز تجاري رئيسي وهذه واقعة جميعاً في موقع التقاء وحدات الجيرة السكنية الثلاثة وبحيث تكون ابعد نقطة عن هذا المركز لا تزيد عن 1600 متراً .

3 – فكرة انجل هارد :

ادخل هارد فكرة تجمع أربع وحدات سكنية تقطنها (6800) عائلة و أطلق عليه مصطلح المجتمع السكني الذي يضم بحدود 24800 ساكن .

4 – فكرة خوسيه سيرت :

Remove Watermark Now

اقترح سيرت مخططاً هيكلياً تتجمع فيه 6-8 وحدات جيرة سكنية لتشكل مدينة بعدد سكان يصل إلى 56000 نسمة مع مركز محاط بحزام اخضر وتوجد طرق رئيسية تربط وحدات الجيرة السكنية مع المركز وعلى جانبي هذه الطرق تقام الخدمات المتنوعة .

4-3-2-المحلة السكنية في المدينة الإسلامية :

قسمت المدينة الإسلامية إلى محلات سكنية عرفت باسم الخطط . وهذا التقسيم كان صياغة إسلامية حاولت التوفيق بين الطبيعة القبلية العربية والتأكيد على رابطة صلة الرحم ضمن القبيلة الواحدة وكذلك محاولة جمع القبائل في خطط متعددة ضمن مدينة واحدة تمثل كياناً حضرياً متكاملاً يسوده إطار التآخي الذي دعا إليه الإسلام لإزالة النزاعات القبلية وخلق المجتمع الواحد .

إن أولى الأمثلة على هذا النموذج للتقسيم يمكن ملاحظته في المدينة المنورة بعد هجرة الرسول (ص) إليها وكان الهدف من توزيع الخطط هو تجميع كل قبيلة في خطة خاصة بها وتركت حرية تقسيم الخطة للقبيلة وحسب ظروفها وإمكانياتها الذاتية (عثمان:55) .

على ذات الأساس تمت عمليات تخطيط المدن الإسلامية الأولى ومنها البصرة حيث قسمت إلى أخماس للقبائل هي خمس بني تميم وخمس أهل العالية وخمس بكر بن وائل وخمس عبد القيس و أخيراً خمس الازد (الموسوي:260) .

أما الكوفة فقد اتبع في خططها نظام الأسباع . وكانت هذه الأسباع موزعة على القبائل لكل قبيلة ومن حالفها سبعاً وكالتالي (ناجي:168)

1 - السبع الأول وصار من نصيب قبيلة كنانة وقبيلة جديلة .
2 - السبع الثاني وصار من نصيب قبيلة قضاعة وقبيلة بجيلة .
3 - السبع الثالث وصار من نصيب قبيلة مذحج .
4 - السبع الرابع وصار من نصيب قبيلة تميم .
5 - السبع الخامس وصار من نصيب قبائل أسد وغطفان وتغلب .
6 - السبع السادس وصار من نصيب قبيلة الازد .
7 - السبع السابع وصار من نصيب قبيلة أياد .

أما الموصل فبعد تمصيرها تم تقسيمها إلى خطط وسميت خططها بالأحياء وكان كل حي يحمل اسم القبيلة التي نزلته كحي خزرج وحي تغلب وحي كندة وحي ثقيف وحي بني هاشم وحي قريش وحي طي وغيرها (الموسوي:263) .

Remove Watermark Now

في بغداد المدورة فان طبيعة تصميمها والغرض الذي شيدت من اجله جعل خططها لا تشابه إلى حد ما خطط أهالي الأمصار التي استندت على الأساس القبلي (ناجي : 282) ومع ذلك فان أسماء السكك والارباض في داخل المدينة المدورة تشير إلى أن بعضها ربما كان يمثل تجمعاً عائلياً أو قبلياً إلى حد ما كما أنها تعكس وضعيتها وتركيبتها المنسوبة إلى أشخاص بالدرجة الأولى .

إن هذا الشكل من أشكال التنظيم الاجتماعي في المدينة الإسلامية – وبضمنها المدينة العراقية –والذي لازال قائماً في الكثير من هذه المدن قد نجح في توفير الجو السكني الكفوء وحيث توافقت الجوانب الإنسانية مع العوامل العمرانية وبشكل خدم الهدف الوظيفي للمدينة وانعكس على نشاطها الاقتصادي (الاشعب:34) .

لقد تميزت المحلات السكنية في المدينة الإسلامية بسمات عديدة أهمها أنها كانت تمتلك شخصيتها المميزة وقد حافظت على وحدتها وتجانسها الذي يستند إلى عدة أسس منها الأساس الديني والأسري والاقتصادي –الاجتماعي . كما أن تنظيمها قد استند إلى مبدأ الاكتفاء الذاتي حيث كان لكل محلة مركزها الخدمي المستقل الذي يضم مجموعة من الفعاليات الضرورية كالجامع والمدرسة والحمام ويقدم هذا المركز خدماته ضمن مسافات مشي مقبولة .

كما تميزت هذه المحلات السكنية بظاهرة اختلاط المساكن وبدون النظر إلى مستوى السكان الاقتصادي حيث يسكن الغني بجوار الفقير وصاحب الجاه يجاور المغمور والسبب في ذلك يعود إلى الدور القبلي في تنظيم هذه المحلات حيث يغلب أن يتركز البناء القبيلة الواحدة في محلة معينة دون اعتبار للفروق الاقتصادية كما أن الدين الإسلامي لا يشجع على خلق تفاوت طبقي كبير بين السكان لذلك فغالباً ما كان أبناء المحلة الواحدة يرتادون بيت الغني حيث يوجد الديوان الذي يشعر الكل بملكيته وحيث يمكن أن يستضاف الضيف (الاشعب : 36)

كذلك كان للمحلات معيارها الاجتماعي حيث الانسجام والتقارب والتعاون في السراء والضراء فكل ساكن في المحلة له نوع من الضمان الاجتماعي تضمنه له محلته وقت الحاجة أو المحن . كذلك كان للمحلة معيار مساحي ينعكس على التلاحم الاجتماعي وحيث أن كل فرد في المحلة يعرف بقية أفرادها وهذا له دوره في الضبط الاجتماعي لسلوك الفرد وتعامله مع الآخرين وتميز هذا السلوك ضمن المحلة عن سلوك نفس الفرد في مناطق المدينة الأخرى.

إن هذه المميزات تتجاوب وتتفق مع المفاهيم الحديثة لما يعرف بوحدة الجيرة السكنية والتي تهدف بمجملها إلى توفير البنية الاجتماعية الملائمة لسكن الإنسان في المدينة.

Remove Watermark Now

4-4- شبكة الحركة والشوارع :

4-4-1- مقدمة عامة :

تمثل الشوارع في المدينة شرايين اتصال وحركة تربط بين تكويناتها العمرانية المختلفة وتكون شبكة الشوارع في المدينة متدرجة على أساس الخدمة وحيث أن الحركة تكون موزعة بشكل متدرج من الطرق الرئيسية إلى الثانوية ثم الطرق المحلية وتختلف وتتنوع التسميات والتصنيفات لعناصر هذه الشبكة إلا أنها يمكن أن تتدرج بشكل عام ضمن المجاميع التالية (Chapin:244).

1. **الطرق الرئيسية** وتمثلها الشوارع التي تتم عبرها الحركة الرئيسية ولمسافات طويلة من والى المدينة.
2. **الطرق الثانوية** وتمثلها شبكات الشوارع التي تقوم بتوزيع حركة النقل بين الأحياء المختلفة وتشكل حلقة الوصل بين الطرق الرئيسية والمحلية.
3. **الطرق المحلية** وتمثلها شبكات الشوارع التي تقوم بتوزيع حركة النقل ضمن الأحياء المختلفة وتشكل حلقة الوصل بين الطرق الثانوية وطرق الوصول.
4. **طرق الوصول** وتمثلها الشوارع التي تقوم بالربط المباشر بين الأبنية والطرق المحلية.

إن هذه الخطوط العريضة لتدرج شبكة الشوارع قد اعتمدتها بشكل أو بآخر معظم الطروحات الحديثة لتنظيم عملية المرور والانتقال ضمن المدينة مع تحقيق اكبر قدر ممكن من الحماية البيئية والخصوصية الاجتماعية.

4-4-2 - الشوارع في المدينة الإسلامية :

أدرك المسلمون ومنذ فترة مبكرة أهمية تخطيط شبكة الحركة في المدينة وقد ارتبطت مقاييس الشوارع في المدينة الإسلامية بعدة عوامل منها ما كان متصلا بالنظام التخطيطي للمدينة ومنا ما ارتبط بخصائص الموضع وعوامل المناخ كما كان للقيم الإسلامية دورها في تحديد هذه المقاييس .

بشكل عام يمكن القول بان المدينة الإسلامية تضم مجموعة من الشوارع الرئيسة تربط ما بين مداخل المدينة وموقع الجامع الكبير والأسواق الرئيسة . وحيث تصب غالبية الشوارع الرئيسة

باتجاه المنشآت المركزية . ومن الشوارع الرئيسة تتفرع شوارع ثانوية تنقل إلى منشآت اقل أهمية ومن ثم شوارع أو أزقة الدرجة الثالثة المخصصة لخدمة المحلة الواحدة . وهناك نوع رابع من وهو المعروف بالزقاق الأعمى أو المغلق من أحد طرفيه والذي يحمل أسماء مختلفة حسب المكان الذي يوجد فيه .

ومن الدراسات العديدة التي أجريت ضمن هذا المجال فإنه يمكن تحديد شبكة الحركة من المدينة الإسلامية ضمن المستويات المتدرجة التالية (Hakim: 64) :

1 – **المستوى الأول** : ويشكل العمود الفقري لنظام الشوارع ويمثل الشوارع الرئيسة التي تربط البوابات الرئيسة للمدينة مع بعضها ومع قلب المدينة وحيث تقع الفعاليات المركزية وترتبط خارجيا مع الطرق المؤدية إلى المدن والقرى المجاورة . وتحتوي المدينة على عدد قليل من شوارع هذا المستوى وان أحدها يمثل المحور الرئيس للسوق في قلب المدينة .

2 – **المستوى الثاني** : وهي الطرق الرئيسة التي تربط المحلات السكنية المتجاورة مع بعضها أو تخترقها وترتبط بشكل مباشر ومستقيم بين شوارع المستوى الأول .

3 – **المستوى الثالث** : وهي الشوارع الثانوية التي تخدم المناطق الواقعة ضمن المحلة السكنية وتستعمل عادة من قبل سكان المحلة الواحدة أنفسهم أو من له اتصال بهم وفي بعض نقاط هذا المستوى تظهر فعاليات تجارية و خدمية مخصصة لخدمة المحلة السكنية .

4 – **المستوى الرابع** : ويتمثل بنظام الأزقة العمياء التي تؤدي إلى مجموعة محدودة من المساكن وتمثل منطقة الانتقال بين الحيز شبه العام والحيز الخاص في السكن . ويمكن أن ترتبط هذه الأزقة مع أي من المستويات الثلاثة الأخرى ويتراوح طول الأزقة ما بين تسعة أمتار ومائة و أربعين مترا في معظم الحالات .

من الناحية الفقهية فإن شوارع المدينة الإسلامية يمكن تقسيمها إلى نوعين : الأول أطلق عليه الفقهاء (**طريق المسلمين**) أو (**طريق العامة**) ويمثل هذا النوع المستويين الأول والثني وبعض شوارع المستوى الثالث من مستويات التدرج وهذه الطرق هي ملك للعامة لهم جميعا حق الارتفاق بها ووجب على السلطة المحافظة عليها من أي تجاوز يعرضها للضيق أو يعيق حركة المرور . أما النوع الثاني فتعرف **بالطرق الخاصة** وتتمثل ببعض شوارع المستوى الثالث والرابع في مستويات التدرج . هذه الشوارع تركت حرية تخطيطها وتحديد مقاييسها لأصحاب الخطط وهي مشتركة الملكية لأصحاب الدور المحيطة بها ولهم حرية الارتفاق بها دون غيرهم من

العامة ولم تكن السلطة تتدخل في شؤونها إلاّ إذا طلب ذلك أحد من أصحابها أو لحل المشاكل التي يمكن أن تحدث .

لقد اعتبرت الشوارع الرئيسة في المدينة الإسلامية الأصل الذي تتفرع منه وتصب فيه جميع الشوارع الفرعية والتي كان اتساعها اقل من الشوارع الرئيسة فقد تمت مراعاة التدرج في قطاعات الطرق حسب الأهمية وتدفق حركة المرور على كلّ محور من محاور المدينة .

4-4 -3- مقاييس الشوارع في المدينة الإسلامية :

ارتبطت مقاييس الشوارع في المدينة الإسلامية بتوزيع حركة المرور عليها . ففي البصرة أمر الخليفة عمر بن الخطاب الوالي أبو موسى الاشعري بفتح شارع كبير بعرض ستين ذراعا (حوالي 30 مترا) ليكون بمثابة مربد المدينة والشوارع الأخرى بعرض عشرين ذراعا (حوالي 10 أمتار) أما الأزقة فعرضها سبعة اذرع (3.5) متر وأمره أن يجعل في وسط كلّ خطة رحبة فسيحة لربط خيول الساكنين (العميد: 213) ، إن الحد الأدنى لعرض الأزقة والبالغ سبعة اذرع إنما استند إلى رأي متفق عليه ونص لا تجوز مخالفته فقد روي عن الرسول (ص) أنه قال : "إذا تدارأ القوم في طريق فليجعل سبعة اذرع" (عثمان:180) .

كما أمر الخليفة عمر بن الخطاب بتحديد أبعاد شوارع مدينة الكوفة حيث أن الطرق الرئيسة (المناهج) كان عرضها أربعين ذراعا وان تكون سعة الأزقة سبعة اذرع ولا تقل عن ذلك مطلقا استنادا إلى نص الحديث الشريف السابق ذكره وقد تم الالتزام بهذه التوصيات في تنظيم الشوارع والدروب (ناجي:167)

مع اتساع وتطور المدن الإسلامية وتحولها إلى مراكز حضرية متميزة ازداد الاهتمام بعملية تنظيم شوارعها وخطوط الحركة فيها . فعندما اختط الوالي الأموي الحجاج بن يوسف مدينة واسط جعل فيها أربعة شوارع رئيسة تتفرع منها أبواب دار الإمارة وكان عرض كلّ شارع ثمانين ذراعا (عثمان:181) .

أما بغداد فكانت مقسمة إلى أربعة أرباع تفصل بينها أربعة طرق رئيسة التي فيها الطاقات والشارعة من الأبواب الأربعة إلى مركز المدينة ويتخلل الدور شوارع وسكك عديدة وقد أمر الخليفة المنصور بان يكون في كلّ ربض من السكك والدروب النافذة وغير النافذة ما يعتدل

Remove Watermark Now

به المنازل وحد لهم أن يجعلوا عرض الشوارع خمسين ذراعا والدروب ستة عشر ذراعا . (الموسوي : 231) .

في سامراء كان أسلوب التخطيط المتبع خاضعا لتنظيم هندسي شبكي صارم ومدروس بدقة وامتازت شوارعها باتساعها حيث أن عرض الشارع الأعظم أو ما كان يعرف بشارع السريجة قد بلغ حوالي المائة متر وهو بذلك يضاهي اعرض الشوارع في مدن اليوم (سلمان : 99) .

أما الطرق الخاصة فقد تركت حرية تحديد أبعادها لأصحابها وفي حالة حدث خلاف حول تحديد اتساع الشارع يتم اللجوء إلى الحديث الشريف (إذا تدارأتم في شارع فاجعلوه سبعة اذرع) كمرجع أساسي لحل الخلاف. لقد وجه الفقهاء إلى بعض حدود المقاييس المناسبة ومن هذه التوجيهات:

1 – أكد ابن كنانة أن الناس يجب أن يتركوا لشوارعهم وأزقتهم ما يتلاءم و أقصى ارتفاع واضخم شيء من خلالها وان هذا يجب أن إلاّ يحدد بحمل جمل .

2 – أكد مالك ذات الرأي بقوله : يجب أن يترك الاتساع الكافي للأثقال والأنفس الذي يمكن من المرور .

3 – عندما انتدب ابن الرامي للقيام بتقسيم بعض الأراضي في تونس بين مجموعة من الناس جعل عرض الشارع ثمانية أشبار كافية لجمل يمر ولا يقل عن ذلك (عثمان : 183) .

5-الاستنتاجات :

مثلت المدينة الإسلامية ترجمة للتعاليم الإسلامية ضمن تنظيم اجتماعي واقتصادي محدد بهيئة عمرانية قائمة وقد حفلت هذه المدينة بالعديد من الإبداعات والإنجازات في تنظيمها وتخطيطها وحملت مفاهيم حضرية متقدمة يعدها الكثيرون من مستجدات العصر الراهن ومنها :

أولاً: أعطى الإسلام مفهوما واضحا لمعنى المدينة بالارتكاز إلى نقاط أساسية تمثلت في توفر العدد الكافي من السكان ووجود السلطة المدنية اللازمة لديمومة الحياة الحضرية .

ثانياً: أكد الإسلام على مبدأ إبعاد الضرر عن سكان المدن بتأثير الاستعمالات غير الملائمة للأرض الحضرية ووضع الضوابط الضرورية لصيانة وحفظ الصحة العامة وضمن محددات شرعية وفقهية متفق عليها .

ثالثاً : كانت المدينة الإسلامية رائدة في تطبيق مفهوم التنطيق Zoning لضمان تنظيم استعمالات الأرض الحضرية .

رابعاً: كذلك كانت المدينة الإسلامية رائدة في طرح فكرة المحلة السكنية ومراعاة الجانب الاجتماعي لهذه الفكرة إضافةً إلى الجوانب الاقتصادية و الخدمية والذي لم تتناوله الطروحات الحضرية الغربية إلاّ منذ عقود قليلة .

خامساً: وكذلك اهتم المخططون المسلمون بمسألة شبكة الحركة في المدينة وقاموا بتنظيمها وفق معايير ومقاييس استندت إلى الحديث الشريف وراعت المتطلبات الوظيفية لهذه الشوارع كما أنهم كانوا من الأوائل الذين أكدوا على مسالة التدرج في عناصر شبكة الشوارع وهو مفهوم يعد حديث نسبيا في تخطيط المدن .

سادساً : وعلى الصعيد المكاني فقد كانت للعراق الريادة في معظم التطبيقات لهذه المفاهيم ففيه اختط المسلمون أولى مدنهم في البصرة والكوفة وفيه شيدوا ابرع إنجازاتهم الهندسية في بغداد و سامراء وفيه حققوا أحسن الأمثلة في تمصير المدن القائمة سابقا وذلك في الموصل .

pdfelement

Remove Watermark Now

مصادر البحث :

1. أبو الصوف ، د. بهنام ، **البدايات في العمارة العراقية القديمة** ، **ندوة أصالة المعالجات المعمارية التخطيطية عند العرب** ، مركز إحياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد ، بغداد ، 1986

2. إلآشعب ، د. خالص حسني ، **أصالة المدينة العربية** ، **مجلة آفاق عربية** ، العدد الأول ، السنة الثالثة ، بغداد ، أيلول 1977 .

3. الديوه جي ، سعيد ، **الموصل في العهد الاتابكي** ، مطبعة شفيق ، بغداد ، 1958 .

4. سلمان ، د. عيسى وآخرون ، **العمارات العربية الإسلامية في العراق** ، الجزء الأول ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، 1982 .

5. الصوفي ، احمد ، **خطط الموصل** ، الموصل ، 1953 .

6. عثمان ، د. محمد عبد الستار ، **المدينة الإسلامية** ، **سلسلة عالم المعرفة** ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1988 .

7. العميد ، طاهر مظفر ، **تخطيط المدن العربية الإسلامية** ، جامعة بغداد ، بغداد ، 1986 .

8. الكبيسي ، د. حمدان عبد المجيد ، **أسواق بغداد حتى بداية العصر البويهي** ، دار الحرية للطباعة والنشر ، بغداد ، 1979 .

9. الموسوي ، مصطفى عباس ، **العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية** ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، 1982 .

10. ناجي ، عبد الجبار ، **دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية** ، جامعة البصرة ، 1986.

11. يوسف ، شريف ، **المدن الإسلامية كيف كان تخطيطها .. وكان بناؤها** ، **مجلة العربي** ، العدد 190 ، الكويت ، سبتمبر 1974 .

pdfelement

Remove Watermark Now

12. Chapin, F. Stuart, **Urban Landuse Planning**, University of lllinois Press, Urbana, 1965.
13. **Gallin**, Arthur B. and Eisner, Simon, **The Urban Pattern**, Van Nostrand Reinhold Co. 4th. ed., New York, 1983.
14. Hakim, Basim Sahim, **Arabic – Islamic Cities Building and Planning Principles**, KPI Ltd, England, 1986.
15. Keeble, Lewis, **Principles and Practice of Town and Country Planning**, The Estates Gazette Ltd., London, 1969.
16. Ministry of Transport, **Traffic in Towns** (Buchanan Report), HMSO, London, 1963.

pdfelement

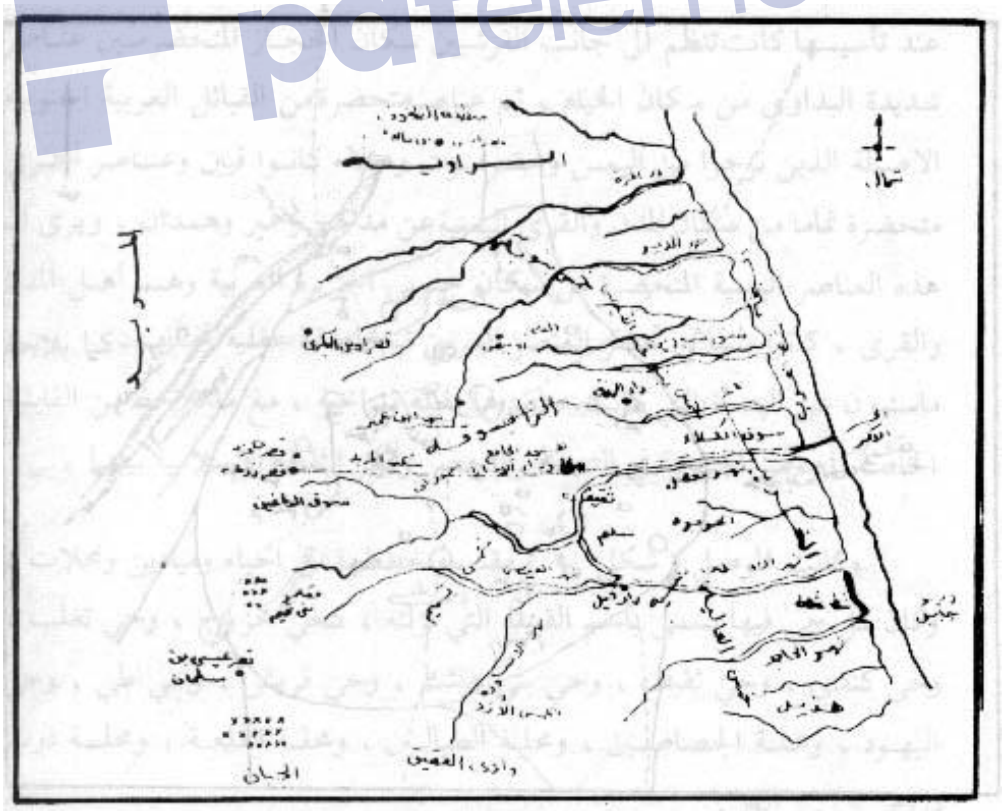

البصرة ، تخطيط تقريبي ، الموسوي : 261

Remove Watermark Now

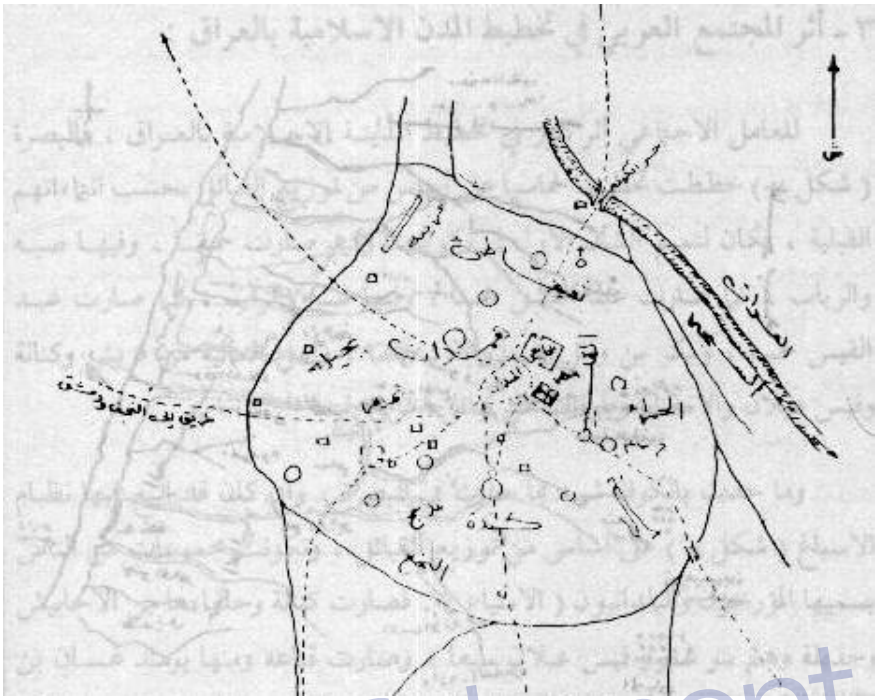

الكوفة ، تخطيط تقريبي ، المسوي : 262

pdfelement

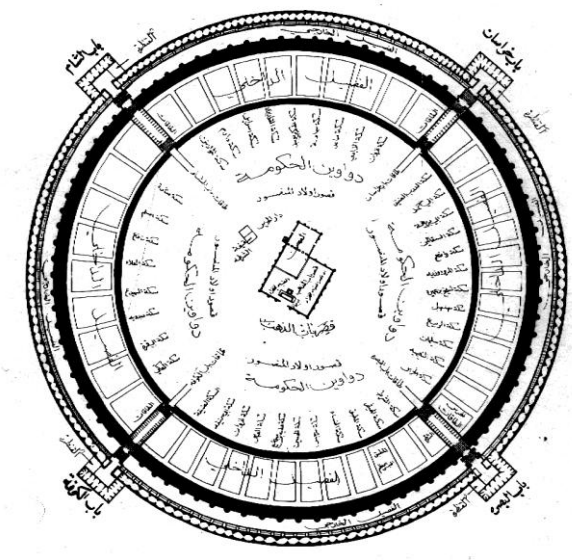

بغداد المدورة ، سلمان : 84

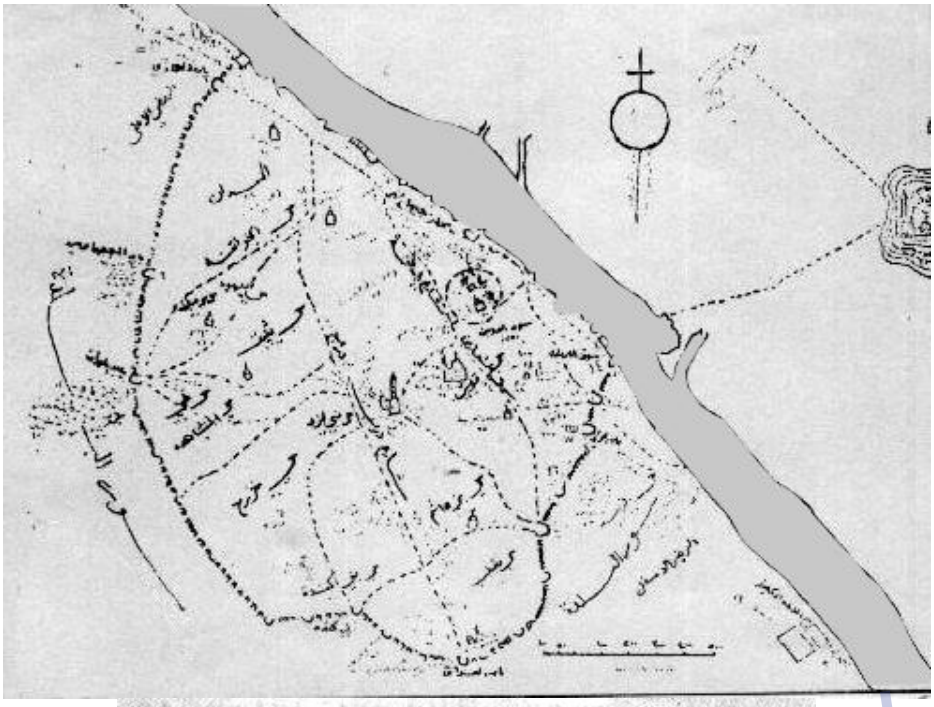

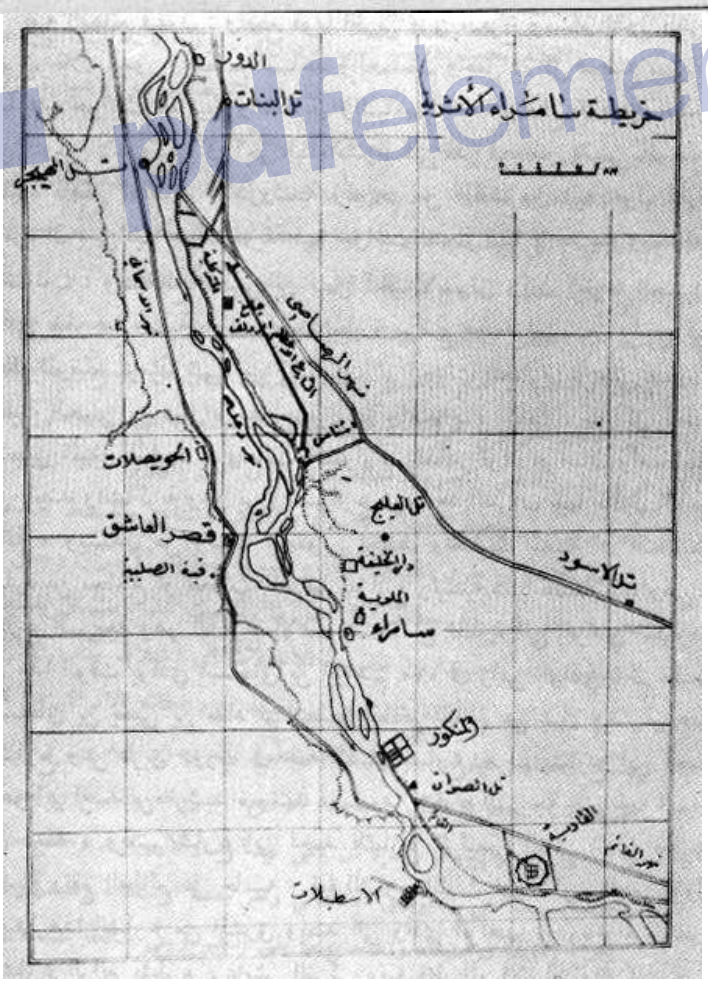

سامراء ، سلمان : 98

Remove Watermark Now

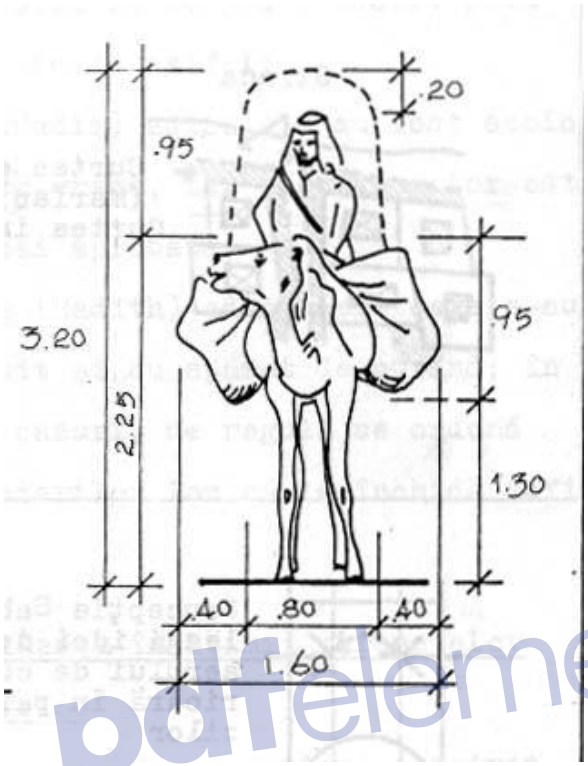

pdfelement

أبعاد الشارع في المدينة الإسلامية ، Hakim